مفتاح دعوة الرسل

عبد الملك القاسم

مصدر هذه المادة:

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار القاسم

المقدمة

الحمد لله وحده لا شـريك لـه، والصـلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين.

وبعد:

فـإن تربية النفـوس وتزكيتها أمر مهم غفل عنه أمة من الناس، ومع انتشار الخـير وكـثرة من يسـلك طريق الاسـتقامة إلا أن البعض يـروم الصـواب ولا يجـده وينشد الجادة ويتيه عنها، وقد انبرى لهم الشيطان فاتخذ هـؤلاء مطية ومركبًا يسـير بهم في لجة الرياء والسمعة والعجب.

ولخطـورة الأمر وعظمه وردت الجم وأدليت بـدلوي ونـزعت نزعًا لا أدعي كماله وحسبي منه اجتهاد مقصر ومحبة الخـير لي وللمسلمين.

وهـذا هو الجـزء [**السـابع عشر**] من سلسـلة [**أين نحن من هـؤلاء؟!**] تحت عنوان: (مفتاح دعوة الرسل).

رزقنا الله الإخلاص في القول والعمـل،

وجعل أعمالنا صــوابًا خالصة لوجهه الكــريم لا رياء فيها ولا سمعة.

وصــــلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم

مدخل

إن الإخلاص هو حقيقة الـدين، ومفتـاح دعوة الرسل عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾[1].

وقال جل وعلا: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[3].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كن خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، **والخالص**: أن يكون لله، **والصواب**: أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ**

---

1 (?) سورة البينة، الآية: 5.
2 (?) سورة الزمر، الآية: 3.
3 (?) سورة الملك، الآية: 2.

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

وقـال الله تعـالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾**[2].

قـال **ابن كثـير**: أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيمانًا واحتسابًا[3].

فإســــــــلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله.

والإحســـان فيه: متابعة رســـوله ﷺ وسنته.

أما حـــال من قصد غـــير وجه الله عز وجل فقد قـــال عنهم جل وعلا في محكم كتابه: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُـورًا﴾**[4]، وهي الأعمـال التي كانت على غير السـنة أو أريد بها غـير وجه الله[5].

وعن أبي هريـرة مرفوعًـا: «**قال الله تعـــالى: أنا أغـــنى الشـــركاء عن**

---

1 (?) سورة الكهف، الآية: 110.
2 (?) سورة النساء، الآية: 125.
3 (?) تفسير ابن كثير 1/560.
4 (?) سورة الفرقان، الآية: 23.
5 (?) مدارج السالكين، ص 93.

الشـرك، من عمل عملاً أشـرك معي فيه غيري تركته وشركه»[1].

وقــال ﷺ: «**من صــلى يــرائي فقد أشرك، من صام يـرائي فقد أشـرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك**»[2].

وعن عمر بن الخطـــاب رضي الله عنه قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امـرئ ما نـــوى، فمن كـــانت هجرته إلى الله ورسـوله فهجرته إلى الله ورسـوله، ومن كـانت هجرته لـدنيا يصـيبها أو امـرأة ينكحهـا، فجرته إلى ما هـاجر إليه**»[3].

أخي المسلم:

إن الإخلاص أهم أعمـــــال القلـــــوب المندرجة في تعريف الإيمـــــان، وأعظمها قـدرًا وشـأنًا، بل إن أعمـال القلـوب عمومًا آكد وأهم من أعمال الجوارح.

---

1 (?) رواه مسلم.
2 (?) رواه أحمد.
3 (?) متفق عليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الأعمـــال القلبيـــة: وهي من أصـــول الإيمـــــان وقواعد الـــــدين، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين لله، والشكر له، والصبر علىحكمه، والخوف منــه، والرجــاء لــه، وهــذه الأعمــال جميعها واجبة على جميع الخلق باتفـــــــــــاق أئمة الدين[4].

ولأهمية ذلك وعظم أمـــره قـــال أحد العلماء: وودت أنه لو كــان من الفقهــاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصـدهم في أعمــالهم، ويقعد للتــدريس في أعمــال النيــات ليس إلا، فإنه ما أتى على كثــير من الناس إلا من تضييع ذلك.

وحتى هذا العلم الذي ينفع الله به البلاد والعبــاد إذا لم يكن صــاحبه صــادق الإخلاص لله عز وجل في طلبه ثم في بذله فإنه متوعد يــوم القيامة على لســان رســوله حيث قــال: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله عزوجـــــل، لا يتعلمه إلا**

[4] (?) مجموع الفتاوى 10/5.

ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة -يعني ريحها- **يوم القيامة»**[1].

والله عز وجل مطلع على السرائر وما تخفي الأنفس، لا ينظر إلى الصور، وما ملكت اليد؛ فهو صاحب الفضل ومسدي النعم، ولكنه ينظر إلى ما في داخل الصدور من الإيمان به والتصديق برسالاته والعمل بمقتضى ذلك.

عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب –قل أم كثر- إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه.

---

1 (?) رواه أبو داود.
2 (?) رواه مسلم.

والإنســان مرتبط في حظوظه منغمس في شـــــــهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبــادة من عباداته عن حظــوظ وأغــراض عاجلة من هذه الأجناس[1].

والرياء: هو أن يــري النــاس أنه يعمل عملاً على صفة وهو يضـمر في قلبه صـفة أخــرى، فهو مســتحق للــذم والعقــاب، ولا ثـــــــواب له إلا فيما خلصت فيه النية لله تعالى.

قــال **الحافظ**: الريــاء إظهــار العبــادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدونه عليها.

والفــرق بينه وبين الســمعة، أن الريــاء لما يــرى من العمــل، كالصــلاة والصــدقة، **والســمعة** لما يســمع كــالقراءة والوعظ والـذكر، ويـدخل في ذلك التحـدث بـه، وهو البحر الذي لا سـاحل له وقل أن ينجو منـه، فمن أراد بعلمه غير وجه الله، أو نوى شـيئًا إلى غير الله وطلب الجزاء منه فقد أشـرك في نيته وإرداتـــه، والإخلاص أن يخلص لله

---

1 (?) الإحياء 4/400.

في أقواله وأفعاله وإرادته ونياته[1].

واعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصًا ويسمى الفعل المصفى المخلص: إخلاصًا[2].

وقيل: **الإخلاص** استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه.

والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: **الإخلاص**: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله[3].

وتجمع المرائي به خمسة أقسام، وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس:

القسم الأول: الرياء في الدين بالبدن: وذلك بإظهار النحول والصفار

1 (?) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم، ص 264.

2 (?) الإحياء 4/400.

3 (?) مدارج السالكين، ص 95.

ليـوهم بـذلك شـدة الاجتهـاد وعظم الحـزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخـرة، وليـدل بـالنحول على قلة الأكـل، وبالصـفار على سـهر الليل وكـثرة الاجتهـاد وعظم الحـزن على الدين، وكذلك يـرائي بتشـعيث الشـعر ليدل به على استغراق الهم بالـدين، وعـدم التفـرغ لتسـريح الشـعر، ويقـرب من هـذا خفض الصـوت وإغـارة العيـنين وذبـول الشفتين، ليسـتدل بـذلك على أنه مـواظب على الصـوم، وأن وقـار الشـرع هو الـذي خفض من صوته أو الجوع هو الـذي ضـعف قوته.

الثاني: الرياء بالهيئة والـزي: أما الهيئة فبتشـعيث شـعر الـرأس وإطـراق الـرأس في المشي والهـدوء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه.

والمـراءون بـالزي على طبقـات: فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصـلاح بإظهـار الزهد فيلبس الثيـاب الخرقة الوسـخة القصـيرة الغليظة لـيرائي بغلظها

ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غـير مكـترث بالدنيا.

وأما أهل الدنيا، فمـراءاتهم بـالتبختر والاحتيـال وتحريك اليـدين وتقـريب الخطى والأخذ بـــأطراف الـــذيل وإدرادة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

الثالث: الرياء بالقول: ورياء أهل الـدين بالوعظ والتـذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبـار والآثـار لأجل الاسـتعمال في المحـاورة، وإظهـار لغـزارة العلم، ودلالة على شدة العناية بـأحوال السـلف، وتحريك الشـفتين بالـذكر في محضر النـاس، والأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر بمشـــهد الخلق، وإظهـار الغضب للمنكـرات وإظهـار الأسف على مقارفة النـــاس للمعاصـــي، وتضـــعيف الصـــوت في الكلام وترقيق الصـوت بقـراءة القـرآن، ليـدل بـذلك على الخـوف والحـزن، وادعـاء حفظ الحـديث ولقـاء الشـيوخ والـدق على من يـروي الحـديث ببيـان خلل في لفظـه، ليعـرف أنه بصير بالأحاديث، والمبادرة إلى أن الحـديث

صحيح أو غـير صـحيح لإظهـار الفضل فيـه، والمجادلة على قصد إفحـــام الخصم يظهر للناس قوته في علم الدين، والرياء بـالقول كثير وأنواعه لا تنحصر.

وأما أهل الـدنيا، فمـراءاتهم بـالقول بحفظ الأشـــعار والأمثـــال والتفاصح في العبــارات وحفظ النحو الغــريب للأغــراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى النــاس لاستمالة القلوب.

الرابع: الريـــاء بالعمـــل: كمـــراءاة المصـلي بطـول القيـام ومد الظهر وطـول السـجود والركـوع وإطـراق الـرأس، وتـرك الالتفات وإظهار الهدوء والسـكون وتسـوية القـدمين واليـدين، وكـذلك بالصـوم والغـزو والحج وبالصـــدقة وبإطعـــام الطعـــام، وبالإخبــات في المشي عند اللقــاء كإرخــاء الجفون وتنكيس الرأس والوقـار في الكلام حتى أن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فــإذا اطلع عليه أحد من أهل الــدين رجع إلى الوقـار وإطـراق الـرأس خوفًا من

أن ينسـب به إلى العجلة وقلة الوقـار، فـإن غاب الرجل عـاد إلى عجلتـه، فـإذا رآه عـاد إلى خشـوعه ولم يحضـره ذكر الله حـتى يكـون يجـدد الخشـوع لـه، بل هو لاطلاع إنسـان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء الصالحين.

الخـامس: المـراءاة بالأصـحاب والزائرين والمخالطين:

كالـذي يتكلف أن يسـتزير عالمًا من العلماء ليقال إن فلانًا قد زار فلانًا، وكالـذي ذكر الشـيوخ لـيرى أنه لقي شـيوخًا كثـيرة واسـتفاد منهم فيبـاهي بشـيوخه، وبماهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته، فيقـول لغـيره: من لقيت من الشـيوخ؟ وأنا قد لقيت فلانًا ودرت البلاد وخـدمت الشـيوخ وما يجري مجراه.

فهـذه مجـامع ما يـرائي به المـراءون، وكلهم يطلبـون بـذلك الجـاه والمنزلة في قلـوب العبـاد. ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه، فكم من راهب انـزوى إلى

ديرة سنين كثيرة وكم من عابد اعتزال إلى قمة جبل مدة مديـدة، وإنما خبأته من حيث علمه بقيــام جاهه في قلــوب الخلــق، ولو عرف أنهم نســبوه إلى جريمة في ديــره أو صــومعته لتشــوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته، بل يشتد لذلك غمه ويســعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلــوبهم مع أنه قد قطع طمعه من أمـــــوالهم ولكنه يحب مجــرد الجــاه فإنه نــوع قــدرة وكمــال في الحال وإن كان سريع الــزوال لا يغــتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال.

ومن المــرائين من لا يقنع بقيــام منزلته بل يلتمس من ذلك إطلاق اللســان بالثنــاء والحمد.

ومنهم من يريد انتشـــار الصـــيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه.

ومنهم: من يريد الاشتهار عند الملـوك لقبل شـــفاعته وتنجز الحـــوائج على يـــده فيقوم له بذلك جاه عند العامة.

ومنهم من يقصد التوصل بـــــذلك إلى

جمع حطـام وكسب مـال ولو من الأوقـاف وأمــوال اليتــامى وغــير ذلك من الحــرام، وهؤلاء شر طبقات المرائين الـذين يـراءون بالأسباب التي ذكرناها، فهـذه حقيقة الريـاء وما به يقع الرياء[1].

وقد توعد الله عز وجل المـرائين فقـال تعـالى: **﴿فَوَيْـلٌ لِلْمُصَـلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَــلَاتِهِمْ سَــاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُــرَاءُونَ * وَيَمْنَعُــونَ الْمَــاعُونَ﴾**[2]... وقــال تعــالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُــوا لَا تُبْطِلُــوا صَــدَقَاتِكُمْ بِــالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِــقُ مَالَــهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾**[3].

وأسباب الرياء وبواعثه ترجع إلى ثلاثة أصول هي:

الأول: حب لــذة الحمد والثنــاء من الناس.

الثاني: الفرار من الذم.

---

1 (?) الإحياء 3/314 باختصار.
2 (?) سورة الماعون، الآيات: 4-7.
3 (?) سورة البقرة، الآية: 264.

الثالث: الطمع فيما في أيدي الناس من مال وجاه وغيره.

ولأن هذه البواعث تطرق الإنسان وتأخذ بيد من وافقها فقد حذرالنبي ﷺ من الرياء لخفائه وعدم ظهوره، بل وجهل بعض الناس بأمره. عن أبي سعيد مرفوعًا: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الشرك الخفي**».

وقد سماه خفيًا لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله، وقد يقصد به غيره، أو شكه فيه بتزيين صلاته لأجله.

وعن **شداد بن أوس** قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر[1].

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل ما شاء الله وشئت

1 (?) رواه ابن جرير وغيره، وصححه الحاكم.

وهـذا من الله ومنـك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليـــك، ولـــولا الله وأنت، وقد يكــون هــذا أكــبر بحسب حــال قائله ومقصـــــــده، ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله[1].

وقــال رحمه الله تعــالى: فالســـجود، والعبــادة، والتوكـــل، والإنابـــة، والتقـــوى، والخشـــية، والتحســـب، والتوبـــة، والنـــذر، والحلـــف، والتســـبيح، والتكبـــير، والتهليـــل، والتحميـــد، والاســـتغفار، وحلق الـــرأس خضوعًا وتعبدًا، والطواف بـالبيت، والـدعاء، كل ذلك محض حق اللــه، ولا ينبغي لســواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل[2].

هـذا إذا كـان لا يجـوز لملك مقـرب ولا نبي مرسل فما بالك بمن يصرف بعضًـا من ذلك أو يسـيره ريـاء لمن يـرى من رؤسـائه ومدرائه!! وسمعة لمن يسمع من أقاربه أو معارفه وجيرانه؟!

أخي المسلم:

---

1 (?) حاشية كتاب التوحيد، ص 267.

2 (?) الجواب الكافي، ص 180.

للمرائي علامات ذكرهـا **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه بقوله: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحـده، وينشـط إذا كان في الناس، ويزيـد في العمـل إذا أثـنى عليه وينقص إذا ذم[1].

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى
فقد عز في الدارين وستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرًا فما له
على سعيه فضل سوى الكد العنا

وســأل رجل **شــقيق بن إبــراهيم** فقـال: إن النـاس يسـمونني صـالحًا فكيف أعلم أني صالح أو غير صالح؟ فقال شقيق:

أولاً: أظهر سـرك عند الصـالحين فـإن رضوا به فاعلم أنك صالح، وإلا فلا.

ثانيًا: أعـرض الـدنيا على قلبـك، فـإن

---

1 (?) الإحياء 3/313.

ردها فاعلم أنك صالح.

ثالثًا: اعرض الموت على نفسك، فـإن تمنيته فاعلم أنك صالح، وإلا فلا.

فـإذا اجتمعت فيك هـذه الثلاثة فتضـرع إلى الله تعــالى لكي لا يــدخل الريــاء في عملك فيفسد عليك أعمالك[1].

وكـــثر حـــديث النفس في المجـــالس مباهـاة وريـاء.. فهـذا سـعى لبنـاء مسـجد: فتراه يـذكر قصـته من أول يـوم وما واجهه من عقبـات وصـعوبات وكيف تعب وشـقي حتى أتم الأمر كله ؟!

والآخر يتحدث عن صـدقته وأنه يوصـلها للأيتــام بنفسه ويحكي ما رأى على ســبيل حظ النفس وأنه ذهب في الحر الشـــــديد ودخل أحياء موحشة!!

وتلك تتحــدث عن جهــدها في الــدعوة وكم شريطًا اشترت وكم كتابًا وزعت!!

وهكـــذا يكن اللســـان في كثـــير من المجالس وبالاً على صاحبه!!

وأما من ابتلي بأعمال ظـاهرة للنـاس فـتراه يتصـنع

[1] (?) تنبيه الغافلين 1/24.

التعب وضـيق الـوقت وكـثرة الـداخلين والخـارجين وأن همـوم الإسلام على ظهره!! فسبحان الله ما أجهله..ولقـد قـارب الفلاح ولكن الشيطان أبى!!

يهوى الثناء مبرز ومقصر

حب الثناء طبيعة الإنسان

قـال بعضـهم: آفة العبد رضـاه عن نفســه، ومن نظر إلى نفسه باستحســان شيء منها فقد أهلكهـا، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور[1].

قـــال **ابن القيم**: لا شـــيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس ولا شيء أصلح لها من شـهود العبد منة الله وتوفيقه والاستعانة به والافتقـار إليه وإخلاص العمل له[2].

أخي الحبيب:

---

1 (?) مدارج السالكين، ص 99.
2 (?) الفوائد، ص 64.

إن العمل بغـــــير إخلاص ولا اقتـــــداء كالمســــــــــــافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه[1].

وفي العمل القليل الخـــالص لوجه الله عز وجل بركة وأجر عظيم.

قـال **سـري السـقطي**: لأن تصـلي ركعتين في خلوة تخلصـهما خـير لك من أن تكتب سبعين حديثًا أو سبعمائة بعلو.

وقــال بعضــهم: في إخلاص ســاعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز.

ويقال: العلم بـذر والعمل زرع ومـاؤه الإخلاص[2].

ومن ثمـــرات الإخلاص وصـــدق التوجه إلى الله عز وجل ما نراه في حـال السـلف رحمهم الله.

قال سفيان بن عيينة: ما أخلص عبد لله أربعين يومًا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتًا، وأنطق لسانه بها، وبصره عيوب الدنيا

---

1 (?) المجموعة السعدية 2/262.

2 (?) الإحياء 4/399.

داءها ودواءها[1].

هذا إذا كان هدفه من هذا الإخلاص وجه الله عز وجل وليس لهـــــدف أن ينبت الله في قلبه الحكمة أو غيرهـــــــا. فإنها حينئذ تنصرف إلى الجهة والقصد.. ومن قصد الله وجــــده، ومن يمم نحو هــــدف كالحكمة أو هدف آخر فإن إخلاصه ينثلم!!

ومن جاهد نفسه يومًا بعد آخر وشـــهرًا بعد شـــهر فـــإن الله عز وجل ييسر له أمر الإخلاص والانقطـــــــــاع له ويجعل له نفعًا ولعمله قبولاً.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: والمأمور به أمــران: عمل بــاطن وهو إخلاص الــدين لله، وعمل ظاهر وهو ما شرعه الله لنا من واجب ومستحب، وخلق كثـير يعبـدون غـير الله، وخلق كثير يبتدعون عبادة لم يأذن بها الله، وكثـير من النـاس عملهم ليس خالصًـا لله، ولا موافقًا لشريعة الله، مبتدعة ضـلال يشرعون دينًا لم يأذن به الله.

---

1 (?) حلية الأولياء 7/287.

سئل حمدون القصار: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام، ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا ورضا الخلق[1].

استعدوا للآخرة وتجهزوا لها وعملوا للإسلام وبذلوا له فكان لهم النفع والقبول، ثم طوت الأيام صفحتها وقل نظيرهم وندر جنسهم، فالهوى والنفس الأمارة والشيطان كل يجاذب الإنسان في طريق!! وها هو الشيطان في خداع مع الإنسان يبحث له عن مدخل ويطرق عليه جميع الأبواب.

قال الحسين بن زياد: لا يترك الشيطان الإنسان حتى يحتال له بكل وجه، فيستخرج منه ما يخبر من عمله، لعله يكون كثير الطواف، فيقول: ما كان أحلى الطواف الليلة، أو يكون صائمًا فيقول: ما أثقل السحور، وما أشد العطش، فإن استطعت

1 (?) صفة الصفوة 2/122.

أن لا تكـون محـدثًا ولا متكلمًا ولا قارئًا، إن كنت بليغًا قـــــالوا: ما أبلغه وأحسن حديثه وأحسن صوته، فيعجبك ذلك فتنتفخ وإن لم تكن بليغًا قالوا: ليس يحسن يحـدث، وليس صوته بحسـن، أحزنك وشق عليـك، فتكـون مرائيًـا، إذا جلست فتكلمت ولم تبـال من ذمك ومن مدحك من الله فتكلم[1].

وعليك بـإخلاص النية وصـدق الالتجـاء إلى الله عز وجل فـــــإن في ذلك فلاح الـدارين، حكي عن بعض السـلف أنه قـال لتلميـذه: ما تصـنع بالشـيطان إذا سـول لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد، قال: أجاهـده، قـال: فـإن عـاد.. قـال: أجاهـده.. قـال: هـذا يطـول. أرأيت إن مـررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبـور ما تصـنع؟ قال: أكابده، وأرده جهدي، قال: هذا يطـول عليـك، ولكن اسـتعن بصـاحب الغنم يكفه عنك[2].

أخي الحبيب:

---

1 (?) حلية الأولياء 8/91.

2 (?) تلبيس إبليس، ص 37.

من مــــداخل الشـــيطان العجب وهو الدرجة الأولى في سلم الكبر والعياذ باللـه، والعجب هو استعظام النعمة والركـون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب أنـــواع: فمن النـــاس من يعجب بصـــحته وقوته وتناسب إعضـــائه وحسن صـورته، فليعلم أن ذلك من نصـيب الـــدود وأن كل من عليها فـــان، وقد قـــال سـليمان عليه السـلام: «**لأطـوفن الليلة على مائة امـــــــرأة كل منهن تنجب فارسًـــا يجاهد في ســبيل الله**» ولم يقل إن شـــاء اللـــه، فلم تنجب منهن إلا واحدة ولدت نصف طفل، قـال رسـول الله ﷺ: «**لو قال إن شاء الله لجاهـدوا في سبيل الله**»(3).

ومن النـــــــــاس من يعجب بعقله واستكشـــافه لبطـــائن الأمـــور الدينية والدنيويـــة، وثمـــرة هـــذا العجب أن تجـــده مستبدًا برأيه مسـتجهلاً لغـيره معرضًـا عن

---

3 (?) متفق عليه.

سـماع آراء الآخـرين، فليفكر هـذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمـرض في دماغه لجن عقله وطار لبه.

وذهب فكره، فليحمده الله على العافية وليشكره على النعمة، ومن النـاس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالـة، أليس هو ابن فلان؟ فليعلم هـذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، وأن النبي نـادى أقـرب النـاس إليه «**يا فاطمـة: اعملي فـإني لا أغـني عنك من الله شيئًا**»[1].

ومن النـاس من يعجب بكـثرة أولاده وأهله وعشـيرته، وهـذا يكفيه قـول الله تعـالى: **يَـوْمَ يَفِـرُّ الْمَـرْءُ مِنْ أَخِيـهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيـهِ * لِكُـلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**[2]...

فـأي عجب بمن يتركك في أشد أحوالك، ويهرب منك في أحرج أوقاتك؟

---

1 (?) متفق عليه.

2 (?) سورة عبس، الآيات: 34-37.

ومن النـــاس من يعجب بماله وغنـــاه، فليقـرأ قوله تعـالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَـــرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُـــوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**[1].. وقول رسوله ﷺ: «**بينما رجل يتبخر في حلة قد أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»[2].

ومن النـاس من يعجب بعبادتـه، وهـذا إنما أوتى من جهلـــه، لأنه لا يـــدري أقبلت عبادته أم لا؟

قـال شـيخ الإسـلام **ابن تيمية**: وأما الإخلاص فهو حقيقة الإسـلام إذ [الإسـلام] هو الاستلام لله لا لغيره كما قـال تعـالى: **﴿ضَـــرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيـــهِ شُـــرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَـلَمًا لِرَجُـلٍ هَـلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾**[3].

فمن لم يســتلم لله فقد اســتكبر ومن استسـلم لله ولغـيره فقد أشـرك، وكل من

---

1 (?) سورة فاطر، الآية: 15.
2 (?) متفق عليه.
3 (?) سورة الزمر، الآية: 29.

الكبر والشـرك ضد الإسـلام، والإسـلام ضد الشرك والكبر[1].

قـال **مسـروق**: كفى بـالمرء علمًا أن يخشى اللـه، وكفى بـالمرء جهلاً أن يعجب بعمله[2].

بل لله الحمد في الأولى والآخـــرة، فله الحمد على نعمة الإســـلام، وله الحمد على نعمة الهداية والتوفيـــق، وله الحمد أن يسر لنا العمل الصـــالح، ونـــدعوه عز وجل كما يسر لنا ذلك وفقنا له أن يوفقنا إلى قبـــول العمل الصالح الخـالص لوجهه الكـريم، وأن يتجـاوز عن تقصـيرنا فهو صـاحب الإحسـان العظيم **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْـلَمُوا قُـلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْـلَامَكُمْ بَـلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَـــدَاكُمْ لِلْإِيمَـــانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[3].

عن عمر رضي الله عنه قـــال: إن من صـلاح توبتك أن تعـرف ذنبـك، ومن صـلاح

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/14.
2 (?) رواه الدارمي.
3 (?) سورة الحجرات، الآية: 17.

عملك أن ترفض عجبك، ومن صلاح شكرك أن تعرف تقصرك.

وتأمل فقههم في الـــــــــدين وعلمهم بعظمة الله عز وجل على العبــــاد وحقوقه علىعباده، قال **مطـرف بن عبد الله**: لأن أبيت نائمًا وأصـــــبح نادمًا أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا[1].

وروي عن **عائشة** -رضي الله عنها- أن رجلاً سألها فقال: مـتى أعلم أني محسـن؟ قـالت: إذا علمت أنك مسـيئ، قـال: ومـتى أعلم أني مســيئ؟ قـــالت: إذا علمت أنك محسن.

قـال **ابن القيم**: كـثر الخلق إذا نـالوا الرئاسات تغـيرت أخلاقهم ومـالوا إلا الكـبر وســرعة الانفعــال، فمن الغلط أن تطالبه بالأخلاق التي كـان يعامل بها قبل الرئاسـة؛ ومخاطبة الرؤسـاء بـالقول اللين مطلـوب شرعًا وعقلاً وهكذا كان ﷺ يخاطب العشـائر والقبائل[2].

---

1 (?) السير 4/109.
2 (?) المجموعة السعدية 2/218.

ولخوف سلف الأمة على أنفسهم ومهابتهم من الله عز وجل قال **ابن أبي مليكة**: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه[3].

ولهذا قال **سهل بن عبد الله**: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص، فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى، ولادنيا.

والعجب إحدى الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، وهو أحد العوارض التي تعرض للعالمين أثناء سيرهم إلى الله تعالى، فمنهم من يباهي بنفسه أنه تصدق بكذا وكذا، وآخر أنه صلى كذا وكذا، والثالث: أنه يدعو إلى الله منذ عشر سنين، وكل ذلك عجب ومباهاة!!

والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذل والافتقار لله تعالى، فهو سوء أدب مع الله جل جلاله كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمي عن معرفة

3 (?) تنبيه الغافلين، ص 252.

أدواء النفس وعيوبها.

قـــال **أبو الليث الســـمرقندي**: من أراد أن يكسر العجب فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التوفيق من الله تعالى، فإذا رأى التفويق من الله تعالى فإنه يشغل بالشكر ولم يعجب بنفسه.

الثاني: أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه فــإذا نظر في نعمائه اشــتغل بالشكر عليها واستقل عمله ولم يعجب به.

الثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

الرابع: أن ينظر في ذنوبه الــتي أذنب قبل ذلك، فإن خاف أن تـرجح سـيئاته على حسناته فقد قل عجبه، وكيف يعجب المــرء بعمله ولا يـدري مـاذا يخـرج من كتابه يـوم القيامــة؟ وإنما يتــبين عجبه وســروره بعد قراءة الكتاب[1].

قــال **عبد الله بن المبــارك**: العجب أن ترى عندك شيئًا عند غيرك[2].

---

1 (?) تنبيه الغافلين، ص 252.
2 (?) السير 8/47.

وهذا أصل مرض إبليس حيث قال الله تعالى قاصًا اعتراضه على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾[1]، فأعجبت المسكين نفسه حيث ظن أن النار خير من الطين، فأورثه ذلك العجب خسران الأبد، والعياذ بالله.

وهذا قارون أعجب بنفسه وماله فقال: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾[2]، فأهلكه الله تعالى حيث خسف به الأرض.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية**: وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فمن حقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾

---

1 (?) سورة الأعراف، الآية: 12.
2 (?) سورة القصص، الآية: 78.

خرج عن الإعجاب[1].

قال **المحاسبي**: يجمع العجب خصالاً شتى: يعمى عليه كثير من ذنوبه، وينسى مما لم يعم عليه منها أكثر، وما ذكر منها كان له مستصغرًا وتعمى عليه أخطاؤه، وقوله بغير الحق، ويخرجه ذلك إلى الكبر والتعظيم على العباد، ويغتر بالله عز وجل ويدل عليه بعلمه وعمله، حتى كأن له منة على ربه عز وجل فحينئذ ينقطع عن الله عز وجل عصمته، ويكله إلى نفسه فيرى أنه من المحسنين وهو عند الله من الظالمين الفاسقين[2].

قال **النووي**: وطريقه في نفي الإعجاب: أن يعلم أن العلم فضل من الله تعالى، ومنة عارية فإن لله تعالى ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي أن لا يعجب بشيء لم يخترعه وليس مالكًا له، ولا على يقين من

---

1 (?) الفتاوى 10/277.
2 (?) الرعاية، للمحاسبي، ص 337.

دوامه[1].

أخي المسلم:

كل عملك الـــذي تقدمه قليل في جنب الله وإن ظهر لك مثل الجبال.. فأجمع على قلبك الخــوف والرجــاء، وتــذكر قــول ابن عــون: لا تثق بكــثرة العمل فإنك لا تــدري أيقبل منك أم لا؟! ولا تـــأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفــرت عنك أم لا؟! إن عملك مغيب عنك كله[2].

قــال **ابن بطــال**: في تغــييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيـف، لأنه لو علم وكان ناجيًا أعجب وكســل، وإن كان هالكًا ازداد عتوًا، فحجب عنه[3].

وكــان الحسن يــروي أن **عائشة** رضي الله عنها رأت رجلاً متماوتًا فقالت: ما بــال هذا؟ فقالوا: إنه صالح، فقــالت: لا أبعد الله غيره، كان عمر رضي الله عنه أصـلح منـه، وكـان إذا مشى أســرع، وإذا ضــرب أوجـع،

---

1 (?) المجموع 1/55.
2 (?) جامع العلوم والحكم، ص 211.
3 (?) فتح الباري 11/330.

وإذا أطعم أشبع، فدعوا التصنع فإن الله لا يقبل من متصنع عملاً.

وروي عن بعض الصالحين أنه كان يقول: أفضل الزهد، إخفاء الزهد، وكان يقول: من تزين للناس بما لا يعلمه الله منه شانه ذلك[1].

وداء الرياء ليس في الحياة فحسب بل قد يصاحب أناسًا بعد الموت.

قال **بشر بن الحارث**: قد يكون الرجل مرائيًا بعد موته، يحب أن يكثر الخلق في جنازته[2].

بل وبعضهم يحب أن يكون طاغوتًا يعبد بعد موته من دون الله؛ فهو يسارع في آخر حياته إلى بناء [ضريحه] وتجميله واختيار الصناع المهرة لبنائه مخالفًا أمر الله عز وجل وأمر رسوله في التحذير من ذلك والنهي عنه!!

وما أحسن قول سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص

1 (?) فتح الباري 11/330.
2 (?) السير 10/473.

لأنه ليس لها فيه نصيب[1].

وهـاك أيها القـارئ جـوهرة من جـواهر شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يصـور للمـرائي سقوط ما يسعى إليه وتهافت ما يبحث عنه حيث قال:رضا الناس غير مقـدور وتحصـيله غير مطلوب...!

ومن ذا الذي يقدر على إرضاء النـاس!! وهل له كتاب الله ورسنة رسوله ما يحث على السعي لتحصيل هذا الرضا والقبـول؟! بل إن أكــثر النــاس كما قــال الله تعــالى عنهم: **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَـرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ**[2]، **وَمَا أَكْثَـرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**[3].

وهذا بحد ذاته يجعل الإنسان يـركن إلى عزيز جبـــار ويلجأ إلى فـــاطر الســـموات والأرض بعيــــــدًا عن تحصـــــيل رضا فلان وعلان.. فإن رضي الله عنك فأنت في خـير وإلى خير.

1 (?) جامع العلوم والحكم، ص 21.
2 (?) سورة الأنعام، الآية: 116.
3 (?) سورة يوسف، الآية: 103.

قال **الفضيل بن عياض**: تــزينت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك رأسًا تزينت لهم بــاقرآن فلم تــرهم يرفعــون بك رأسًــا تزينت لهم بشــيء بعد شــيء، إنما هو لحب الدنيا[1].

وقـــال **الحسن**: إن كـــان الرجل جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كـان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشــعر به النـاس، وإن كان الرجل ليصلي الصـلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعر به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كـــان على ظهر الأرض من عمل يقــدرون على أن يعملــوه في سر فيكــون علانية أبدًا ولقد كـان المسـلمون يجتهـدون الــدعاء وما يســمع لهم صــوت، إن كـان إلا همسًـــــا بينهم وبين ربهم ذلك أن الله -عز وجـــل- يقــول: ﴿**ادْعُــوا رَبَّكُمْ تَضَــرُّعًا وَخُفْيَـةً**﴾[2] وذلك أن الله تعـالى ذكر عبـدًا صـالحًا ورضي قوله فقـال: ﴿**إِذْ نَـادَى رَبَّهُ**

---

1 (?) صفة الصفوة 2/240.
2 (?) سورة الأعراف، الآية: 55.

نِدَاءً خَفِيًّا﴿[1].

قال يعقوب: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته[2].

وانظر إلى كـــرم الله عز وجل وجـــوده لمن أخلص له عمله وصـــــــدق في توجهه واســـتقبل الآخـــرة وخلف الـــدنيا وأهلها وراءه!!

يقول ابن تيميـة: إذا كـان العبد مخلصًـا له اجتباه ربـه، فيحـيي قلبـه، واجتذبه إليـه، فيتصـــرف عنه ما يضـــاد ذلك من الســـوء والفحشـاء، ويخـاف من حصـول ضد ذلـك، بخلاف القلب الذي لم يخلص للـه، فإنه في طلب وإرداة وحب مطلق، فيهوى ما يسـنح له، ويتشـبث بما يهـواه، كالغصن أي نسـيم مر بعطفه[3] آمالـه، فتـارة تيجتذبه الصـور المحرمة وغير المحرمة، فيبقى أسيرًا عبـدًا لمن لو اتخـذه هو عبـدًا له لكـان ذلك عيبًا ونقصًـــا وذمًـــا، وتـــارة يجتذبه الشـــرف

---

1 (?) سورة مريم، الآية: 3.

2 (?) تزكية النفوس، ص 17.

3 (?) أي بجانبه.

والرئاسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمـة، ويستعبده الدرهم والدينار، وأمثـال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب.

ومن لم يكن خالصًـا لله عبـدًا لـه، قد صـار قلبه معبًا لربه وحـده لا شـريك لـه، بحيث يكـــــون الله أحب إليه من كل من سواه، ويكون ذليلاً له خاضعًا وإلا استعبدته الكائنـات، واسـتولت على قلبه الشـياطين، وكـان من الغـاوين، وصـار فيه من السـوء والفحشـاء ما لا يعلمه إلا اللـه، وهـذا أمر ضروري لا حيلة فيه[1].

وتأمل في حـــــال من أخلص لله قلبه وتوجه بقلبه لله عز وجل، يقول العلامة ابن القيم: وقد جـرت عـادة الله الـتي لا تبـدل وسنته التي لا تحـول أن يلبس المخلص من المهابة والنـور والمحبة في قلـوب الخلق وإقبـال قلـوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربــــه، ويلبس المــــرائي اللابس ثـــوبي الـــزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به.

1 (?) مجموع الفتاوى 10/216.

فـــــــالمخلص لهالمهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضـــاء،وقد شـــرط الله لقبـــول العبـــادات وصـــحتها أن تكـــون خالصة له سبحانه وأن ينوي بها العبد التقرب إلى الله وإلا كـانت عـادة وليس عبـادة، يقـول الله تعـــالى: **وَمَا أُمِــرُوا إِلَّا لِيَعْبُـــدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**[1].

وثبت في الصحيحين وغيرهمـا، قـال : **«إن الله لا ينظر إلى صــــــوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[2].

وفســـاد النية في الغـــالب مرجعه إلى الشبهات والسـهوات فـإذا كـثرت الشـكوك والشبهات سبب ذلك الانحـراف وكـذلك إذا كثر ورود شـهوات على القلب أشـرب حبها وأخذ يســـعى في تحقيقهـــا، وصـــدق الله العظيم: **مَنْ كَـانَ يُرِيـدُ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُـــوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـــالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُـونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ**

---

1 (?) سورة البينة، الآية: 5.
2 (?) رواه البخاري ومسلم.

لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الذين يدفعون وزكاة أموالهم إلى السلطان خشية أن تضرب أعناقهم، أو تنتقص حرماتهم، أو تؤخذ أموالهم، وعن الذين يقومون يصلون خوفًا على دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم. تحدث عنهم واصفًا إياهم بالنفاق والرياء ثم قال: عندنا وعند أكثر العلماء أن هذه العبادة فاسدة، لا يسقط الفرض بهذه النية[2].

عليك أخي الحبيب بجهادالنفس وإلزامها الجادة وترك الرياء والتصنع للناس فإنك يا ابن آدم كما قال الحسن: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من الناس.

ابن آدم: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب

---

1 (?) سورة هود، الآيتان: 15، 16.

2 (?) مجموع الفتاوى 26/28.

وحدك!!![1].

واعلم أخي الحـــبيب أن من علامـــات الســـــــعادة والفلاح أن العبد كلما زيد في عمله زيد في تواضــعه ورحمتــه،وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحـــذره،وكلما زيد في عمره ونقص من حرصه، وكلما زيد في ماله زيد في سـخائه وبذلــه، وكلما زيد في قــــدره وجاهه زيد في قربه من النــــاس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم[2].

قال الحسـن: السـجود يـذهب بـالكبر ، والتوحيد يذهب بالرياء[3].

وقـــال بعضـــهم: إذا أبغض الله عبـــدًا أعطـــاه ثلاثًا ومنعه ثلاثًـــا، أعطـــاه صـــحبة الصـــالحين ومنعه القبـــول منـــه، وأعطـــاه الأعمـــال الصـــالحة ومنعه الإخلاص فيهـــا، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها[4].

والشـهرة الـتي يسـعى إليها البعض من

---

1 (?) حلية الأولياء 2/155.
2 (?) الفوائد،ص 201.
3 (?) التواضع والخمول، ص 210.
4 (?) الإحياء 4/399.

أهل الـدنيا تنـافي الإخلاص إذا كـان الهـدف منها الجـــــاه وإبــــراز النفس والتيه على الآخـــــرين، أما إذا أتت طائعة مرغمة فإنها من أنــواع الابتلاء الــذي يحتــاج إلى جهــاد ومدافعة لحظوظ النفس!!

قال إبراهيم بن أدهم:ما صدق الله عبد أحب الشهرة[4].

يقول **ابن الجوز**ي: واعلم أن المـؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعــالى، وإنما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة، وفي الحديث مرفوعًا عن يســار قـال لي يوسف بن أسـباط: تعلمـوا صـحة العمل من سـقمه فـإني تعلمته في اثــنين وعشرين سنة.

وفي الحــــديث مرفوعًا عن إبـــراهيم الحنظلي قــــال: ســــمعت بقية بن الوليد يقــول: سـمعت إبــراهيم بن أدهم يقــول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان، ودخلت عليه في صــــومعته فقلت لــــه: يا سـمعان، منذ كم أنت في صـومعتك هـذه؟

4 (?) السير 3/393.

قال: منذ سبعين سـنة.. قلت: ما طعامـك؟ قال: يا حنيفي، وما دعاك إلى هـذا؟ قـالت: أحببت أن أعلم.

قــال: في كل ليلة حمصــة.. قلت: فما الـــذي يهيج من قلبك حـــتى تكفيك هـــذه الحمصة؟ قال: تـرى الـذي بحـذائك؟ قلت: نعم، قـال: إنهم يـأتونني في كل سـنة يومًا واحدًا فـيزينون صـومعتي ويطوفـون حولها يعظمونني بـذاك، وكلما تثـاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سـنة لعز سـاعة، فاحتمل يا حـنيفي جهد ساعة لعز الأبد.. فوقر في قلـبي المعرفـة، فقـال: أزيـدك؟ قلت: نعم، قـال: انـزل عن الصـومعة. فـنزلت، فـأدلى إلي ركـوة فيها عشـرون حمصـة.. فقـال لي: ادخل الـدير فقد رأوا ما أدليت إليـك، فلما دخلت الـدير اجتمعت النصـارى، فقـالوا: يا حـنيفي، ما الـذي أدلى إليك الشـيخ ؟ قلت: من قوتـه، قـالوا: وما تصـنع به ونحن أحـق؟ سـاوم. قلت: عشـرين دينـارًا، فـأعطوني عشـرين دينارًا فرجعت إلى الشـيخ فقـال: أخطـأت،

لو ساومتهم عشرين ألفًا لأعطوك، هـذا عز من لا يعبــده، فــانظر كيف تكــون بعز من تعبده؟ يا حنيفي: أقبل على ربك[1].

أخي المسلم:

لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المـدح والثنـاء والطمع فيما عند النـاس إلا كما يجتمع المــاء والنـار والضب والحــوت، فــإذا حــدثتك نفسك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع فاذبحه بســكين اليـأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشـاق الــدنيا في الآخــرة، فــإذا اســتقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص[2].

عن يحيى بن أبي كثير قال: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل[3].

قـــــال ابن تيمية -رحمه اللـــــه-: النية المجــردة عن العمل يثــاب عليهــا، والعمل المجـرد عن النية لا يثـاب عليـه، ومن نـوى

---

1 (?) تلبيس إبليس، ص 153.
2 (?) الفوائد، ص 195.
3 (?) حلية الأولياء 3/307.

الخير وعمل منه مقـدوره وعجز عن إكماله كان له أجر عامل.

ومع كثرة مشاغل الحيـاة وجهل البعض تـــرى من لا يستحضر النية الصـــالحة في نومه وأكله وشربه ليؤجر عليها!!

ومما ينبغي التذكير به في هــذا الموضع هو أن الإخلاص إذا تمكن من طاعة ما فكـــانت هـــذه الطاعة خالصة لوجه الله تعـالى، فإننا نشـاهد أن الله تعـالى يجـزي الجــزاء الكبــير والعطــاء العظيم لهــؤلاء المخلصـين، وإن كـانت الطاعة في ظاهرها يسيرة أو قليلة.

يقول ابن تيمية في هذا الشأن: والنــوع الواحد من العمل قد يفعله الإنســـان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة، فهـذه حـال من قالها بـإخلاص وصـدق، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النــار كلهم يقولــون التوحيــد، ولم يــترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب

البطاقة.

ثم ذكر ابن تيمية حــديث البغي الــتي ســقت كلبًا فغفر الله لهــا.. والرجل الــذي أمــاط الأذى عن الطريق فغفر الله لــه، ثم قال: فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كـان في قلبها فغفر لهــــا، وإلا فليس كل بغي ســقت كلبًا يغفر لهــا. فالأعمــال تتافضل بتفاضل ما في القلــــوب من الإيمــــان والإجلال[1].

وفي المقابل نجد أن أداء الطاعة بدون إخلاص وصــــدق مع اللـــه، لا قيمة لها ولا ثواب، بل صاحبها متعـرض للوعيد الشـديد، وإن كانت هذه الطاعة من الأعمال العظـام كالإنفـاق في وجـوه الخـير، وقتـال الكفـار، ونيل العلم الشــرعي كما جــاء في حــديث أبي هريــرة قــال: ســمعت رســول الله يقــول: «**إن أول النــاس يقضى يــوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به، فعرفه نعمه فعرفهـــا، قـــال: فما عملت فيهــا؟ قــال: قــاتلت حــتى**

[1] (?) منهاج السنة 6/218.

استشـــهدت، قـــال: كـــذبت، ولكنك قاتلت ليقال: جـريء، فقد قيـل، ثم أمر به فســـحب على وجهه حـــتى ألقي في النـــار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفهـــا، قـــال: فما عملت؟ قـال: تعلمت العلم وعلمتـه، وقـرأت فيك القـــرآن، قـــال: كـــذبت، ولكن ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقـال: قارئ، فقد قيـل، ثم أمر به فسـحب على وجهه حـــتى ألقي في النـــار، ورجل وسع الله عليـه، وأعطـاه من صنوف المـال، فـأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قـال: ما تـــركت من ســـبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقـــال: جـــواد، فقد قيـل، ثم أمر به فسـحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

ومن الخوف العظيم من تسـلط الريـاء

1 (?) رواه مسلم.

على الإنســـان وخســـران العمل وضـــياع الجهد..

قـال **محمد بن أسـلم**: لو قـدرت أن أتطـوع حيث لا يـراني ملكـاي لفعلت خوفًا من الرياء[1].

يقل ابن القيم في بيـــان عظم أعمـــال القلوب: أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجـــوارح تبع ومكملـــة، وإن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء الذي إذا فـارق الـروح فمـوات، فمعرفة أحكـام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوراح[2].

ويقول رحمه الله: ومن تأمل الشـريعة، في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمـال الجـوارح بأعمـال القلـوب، وإنما أعمـال القلـــوب أفـــرض على العبد من أعمـــال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمـــال الـــتي مـــيزت بينهمـــا؟ وعبودية القلب أعظم من عبودية الجـــوراح وأكـــثر وأدوم فهي واجبة

---

1 (?) السير 12/200.

2 (?) بدائع الفوائد 3/224.

في كل وقت[1].

ومن فوائد الإخلاص لله عز وجل وابتغاء مرضاته ما قاله **أبو سليمان الداراني**: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء[2].

قال **مورق العجلي**: ما أحب أن يعرفني بطاعته غيره[3].

أخي الحبيب أين نحن من هؤلاء؟

كان **محمد بن يوسف الأصبهاني** لا يشتري زاده من خباز واحد، وقال: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن أعيش بديني[4].

ومر **حمزة الزيات** برجل فاستسقى، ثم قال: أنت ممن يحضرنا في القراءة، قال: نعم، قال حمزة: لا حاجة لنا في مائك[5].

---

1 (?) بدائع الفوائد 3/330.
2 (?) مدارج السالكين،ص 96.
3 (?) التواضع والخمول،ص 13.
4 (?) حلية الأولياء 8/131.
5 (?) صفة الصفوة 3/156.

ودخل **عبد الله بن محـــــيريز** حانوتًا وهو يريد أن يشـــتري ثوبًـــا، فقـــال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محــيريز فأحسن بيعه، فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشتري بأموالنا لسنا نشتري بديننا[1].

واليـــوم – والله المســـتعان- كـــثرة المشترون بدينهم!!

أخي المسلم:

السنة شجرة، ولاشهور فروعها، والأيام أغصــانها، والســاعات أوراقهــا، والأنفــاس ثمرهـــــا، فمن كـــــانت أنفاسه في طاعة فثمرته شجرة طيبة، ومن كانت في معصية فثمرتها حنظــل، وإنما يكــون الجــداد يــوم المعــاد، فعند الجــداد يتــبين حلو الثمــار من مرها.

والإخلاص والتوحيد شـــجرة في القلب، فروعها الأعمــال، وثمرها طيب الحيــاة في الـدنيا والنعيم في المقيم في الآخـرة، وكما أن ثمـــار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعـــة،

1 (?) صفة الصفوة 4/206.

فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك[1].

قـال **مالك بن دينـار**: الخـوف على العمل أن لا يتقبل، أشد من العمل[2].

وصدق، فإن الكثير تحولت لديه العبـادة إلى عـادة يجريها بلا روح وبـدون حضـور قلب!!

وقد أوصى أمير المؤمـنين علي بن أبي طالب، بوصية جامعة مانعة فقال للعاملين: كونـوا بقبـول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمـل، فإنه لن يقل عمل مع التقـوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟[3].

ولهـذا كـانوا يحرصـون على تخليص العمل من الريـاء والسـمعة، فـأخفوه حـتى عن أقرب الأقرباء وأصفى الأصفياء.

قال **محمد بن واسع**: إن كـان الرجل ليبكي عشـرين سـنة وامرأته معه لا تعلم به[4].

---

1 (?) الفوائد،ص 214.

2 (?) حلية الأولياء 2/377.

3 (?) تاريخ الخلفاء،ص 170.

4 (?) صـفة الصـفوة 3/269، حلية الأوليـاء 2/347.

وقال **بعضهم**: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله[5].

أما **وهب بن منبه** فإنه يذكر لنا قصة رجل من أفضل أهل زمانه، وكان يزار فيعظم، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعًا أن يقارب لمكانه دينه، وإن لقي حُيَّ ووقر لمكان دينه، فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه، فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك، فقال: وما يصنع؟ قال: للكلام الذي وعظت به، فسأل غلامه: هل عندك طعام؟ فقال: شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به، فأمر به ، فأتي على مسح فوضع بين يديه،

5 (?) مدارج السالكين، ص 95.

فأخذ يأخذ منــه، وكــان يصــوم النهــار ولا يفطـــــر، فوقف عليه الملك فســـــلم عليه فأجابه بإجابة خفيفــــــة، وأقبل على طعامه يأكله، فقال الملـك: أين الرجـل؟ فقيل لـه: هو هذا!!! قال: هذا الذي يأكل؟ قالوا: نعم، قـال: فما عند هـذا من خـير، فـأدبر، فقـال الرجـل: الحمد لله الـذي صـرفك عـني بما صرفك به[1].

وقيل:كان **الحسن** يقـول: روي أنه من قَبِـلَ الله تعــالى من عمله حســنة واحــدة أدخله بها الجنــة، قيــل: يا أبا ســعد، فــأين تـذهب حسـنات العبـاد؟ فقـال: إن الله عز وجل إنما يقبل الخـــالص الطيب المجـــانب للعجب والريـــاء، فمن ســـلمت له حســـنة واحدة فهو من المفلحين[2].

وعندما جاء سـائل إلى **ابن عمر** رضي الله عنه قـــال لابنـــه: أعطه دينـــارًا، فلما انصـرف قـال ابنـه: تقبل الله منك يا أبتـاه، فقال: لو علمت أن الله يتقبل مـني سـجدة

---

1 (?) تلبيس إبليس، ص 153.
2 (?) الزهد، للحسن البصري، ص 160.

واحــدة وصــدقة درهم لم يكن غــائب أحب إلي من المــوت، أتــدري ممن يتقبــل؟ إنما يتقبل الله من المتقين.

ويقول ا**بن الجوزي**: ما أقل من يعمل لله تعـالى خالصًـا، لأن أكـثر النـاس يحبـون ظهور عبـاداتهم، واعلم أن تـرك النظر إلى الخلــق، ومحو الجــاه من قلــوبهم بالتعمل وإخلاص القصد وستر الحال، هو الــذي رفع من رفع.

فقد كـــان أحمد بن حنبل يمشي حافيًا في وقت، ويحمل نعليه في يديــه، ويخـــرج للقـــاط، وبشر يمشي حافيًا على الـــدوام وحــده، ومعــروف الكــرخي يلتقط النــوى، واليوم صارت الرياسات من كل جانب، وما تتمكن الرياســات حــتى يتمكن من القلب الغفلـة، ورؤية الخلق ونسـيان الحق فحينئذ تطلب الرياسة على أهل الدنيا.

ولقد رأيت من النـــاس عجبًا حــتى من يتزيا بـــالعلم، إن رآني أمشي وحـــدي أنكر علي، وإن رآني أزور فقـــيرًا عظم ذلـــك،

فقلت: فواعجبًا هذه كـانت طريق الرسـول والصـــحابة رضي الله عنهم، فصـــارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه، لا جرم والله سـقطتم من عين الحـق، فأسـقطكم من عين الخلق.

فـالتفوا إخـواني إلى إصـلاح النيـات، وتـــرك الـــتزين للخلـــق، ولتكن عمـــدتكم الاستقامة مع الحـق، فبـذلك صـعد السـلف وسعدوا[1].

وللحائرين الـذين لم يجـدوا الجـادة.. ها هو قـول الفضـيل يرسم لهم منـارات لهـذه الحـــــيرة وعلامـــــات لما خفي من علم الشريعة: ترك العمل من أجل النـاس ريـاء والعمل من أجل النـاس شـرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما[2].

وتأمل في حـال السـؤال يـوم القيامة عن كل كبـــيرة وصـــغيرة زانها الإخلاص أو شانها الرياء، وهل هي صـواب على الجـادة

---

1 (?) صيد الخاطر، ص 266 باختصار.

2 (?) تزكية النفوس، ص 17، مدارج السالكين، ص 95.

أم تفرقت بها السبل؟!!

قـال **الثـوري**: يسـألون والله عن كل شيء، حتى التبسم، فيم تبسـمت يـوم كـذا وكذا؟[1]

وعن **سـفيان بن عيينة** قـال: قـال رجل من العلمـاء: اثنتـان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سـنة: تـرك الطمع فيما بيـني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل[2].

ويروى عن بعضهم قال: غـزوت في البحر فعرض بعضـنا مخلاة، فقلت أشـتريها فأنتفع بها في غزوي فـإذا دخلت مدينة كـذا بعتها فربحت، فاشـتريتها فـرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين قد نزلا من السـماء فقال أحدهما لصاحبه: اكتب الغـزاة فـأملى عليه: خـرج فلان متنزهًا وفلان مرائيًا وفلان تـاجرًا وفلان في سـبيل اللـه، ثم نظر إلي وقال: اكتب: فلان خـرج تـاجرًا، فقلت: الله الله في أمـري!! ما خـرجت أتجر وما معي

---

1 (?) الورع، لعبد الله ابن حنبل، ص 193.

2 (?) حلية الأولياء 7/271.

تجارة أتجر فيها، ماخرجت إلا للغزو، فقال: شيخ، قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها، فبكيت وقلت: لا تكتبوني تاجرًا فنظر إلى صاحبه وقال: ما ترى؟ فقال: اكتب: خرج فلان غازيًا إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى[1].

وتأمل أخي الكريم في قول الحسن: ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي، حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية، فإن كانت طاعة تقدمت وإن كانت معصية تأخرت[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كله للذي

---

1 (?) الإحياء 4/399.

2 (?) الورع، لابن أبي الدنيا، ص 116.

أشــرك» وثبت في الصــحيح حــديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار، والقارئ المــرائي، والمجاهد المــرائي والمتصــدق المــرائي، بل إخلاص الــدين لله هو الــدين الذي لا يقبل الله سواه، وهو الــذي بعث به الأولين والآخــرين من الرســل، وأنــزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبويــة، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه[1].

وقــال رجل لعبــادة بن الصــامت: أقاتل بســيفي في ســبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس، قــال: لا شــيء لــك، فسأله ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا شيء لك، ثم قال في الثالثة: إن الله يقــول: «**أنا أغــنى الأغنيــاء عن الشــرك**...»[2].. الحديث.

وكـــان **عبد الله بن المبـــارك** يضع اللثام على وجهه عند قتاله في سبيل اللــه، ولذا قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: ما رفع

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/48.

2 (?) الإحياء 3/313.

الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له[1].

قــال **عــون بن عبدالله** في نصــحية للمتصـــــــــدقين والمنفقين: إذا أعطيت المسكين شيئًا فقال: بـارك الله فيـك، فقل أنت: بـــارك الله فيـــك، حـــتى تخلص لك صدقتك[2].

لأنه يريد بهذه الوصية أن تكون صدقتك خالصة لله عز وجل وليس فيها حظ من حظوط النفس.. وقد روي مثل ذلك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وهــذا الحســين بن زيــاد وكأنه يخـاطب أحـــدنا على ضـــعفنا وقصـــورنا وتفريطنا وتســـويفنا فيقـــول: تريد الجنة مع النبـــيين والصـــــديقين، وتريد أن تقف المواقف مع نـــوح وإبـــراهيم ومحمد عليهم الصـــلاة والسلام، بـأي عمـل؟! وبـأي شـهوة تركتها لله عز وجل ؟! وأي قـــريب بعدته في الله وأي قريب قربته في الله ؟

---

1 (?) صفة الصفوة 4/146.
2 (?) حلية الأولياء 4/253.

قال ابن رجب: العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء مخضًا كحال المنافقين، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[1].

وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه، وإن كان أصله لله ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أو لا؟ فيجازى على أصل نيته، فيه خلاف رجح أحمد وغيره لا

1 (?) سورة النساء، الآية: 142.

يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى.

ولا يظن الظان أنه يكتفي فيه بحبوط عمله فلا له ولا عليه، قال الشيخ: بل هو مستحق للذم والعقاب، وقد دل الكتاب والسنة على حبوط العمل بالرياء، وجاء الوعيد عليه.

وأما إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره، وفي حديث أبي ذر عن النبي أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[1]، وفي حديث أبي هريرة: يدخل علي الرجل في بيتي وأنا أصلي فيسرني ذلك، فقال: «**يرحمك الله لك أجران، أجر السر وأجر العلانية**» لأنه لم يقصد رؤية أحد عند الشروع، ولا قام بقلبه أن يراه أحد[2].

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسمِ، ص

وســأورد لك أخي القــارئ بعضًــا من دقـائق الريـاء الـتي لا تخفى على كثـير من الناس وخفاياه على النحو التالي:

أولها: ما ذكـره أبو حامد الغـزالي في إحيائه حيث قال أثنـاء ذكـره للريـاء الخفي: وأخفى من ذلك أن يختفي [العامل بطاعتـــه] بحيث لا يريد الاطلاع، ولا يسر بظهـــور طاعتـــه، ولكنه مع ذلك إذا رأى النـــاس أحب أن يبـــدءوه بالســـلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليـه، وأن يوسعوا له في المكـان، فـإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبـــه، ووجد لـــذلك استبعادًا في نفسـه، كأنه يتقاضى الاحـترام مع الطاعة الـــتي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كـان يسـتبعد تقصـير النـاس في حقـه، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بـالخلق لم يكن قد قنع بعلم اللـه، ولم يكن خاليًا عن شــوب خفي من الريــاء أخفى من دبيب النمل، وكل ذلك يوشك أن

.266

يحبط الأجر، ولا يسلم منه إلا الصديقون[1].

ثانيهـــــــا: فهو أن يجعل الإخلاص لله وســـيلة -لا غاية وقصـــدًا- لأحد المطـــالب الدنيوية.

وقد نبه شـــيخ الإســـلام على تلك الآفة الخفية فكان مما قال رحمه اللــه: حكي أن أبا حامد الغـــــزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يومًا تفجرت ينــابيع الحكمة من قلبه على لســـان، قـــال: فأخلصت أربعين يومًا فلم يتفجر شـــــيء، فـــــذكر ذلك لبعض العـــــارفين، فقـــــال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة، ولم تخلص الله تعالى.

ثم قــال ابن تيميــة: وذلك لأن الإنســان قد يكـون مقصـوده نيل العلم والحكمـة، أو نيل المكاشـفات والتـأثيرات، أو نيل تعظيم النــاس له ومـدحهم إيــاه، أو غــير ذلك من المطـــــالب، وقد عــــرف أن يحصل ذلك بــالإخلاص لله وإرادة وجهــه، فــإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كــان

---

1 (?) الإحياء 3/305، 306.

متناقضًا لأن من أراد شيئًا لغيره فالثاني هو المـراد المقصـود بذاتـه، والأول يـراد لكونه وسيلة إليه. فإذا قصد أن يخلص لله ليصـير عالمًا أو عارفًا أو ذا حكمة أو صـــــــــاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يـرد اللـه، بل جعل الله وسـيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى[1].

ولذا يقـول **الشـاطبي** رحمه اللـه: إن الفاعل للسـبب عالمًا بـأن المسـبب ليس إليه، إذا وكله إلى فاعله وصرف نظـره عنه كان أقرب إلى الإخلاص، فـالمكلف إذا لـبى الأمر والنهي في السـبب من غـير نظر إلى ما سوى الأمر والنهي، خارج عن حظوظـه، قـائم بحقـوق ربـه، واقف موقف العبوديـة، بخلاف ما إذا التفت إلى المسـبب وراعـاه، فإنه عند الالتفات إليه متوجه شطره، فصار توجهه إلى ربه بالسـبب، بواسـطة التوجه إلى المسـبب، ولا شك في تفـاوت ما بين الرتبتين في الإخلاص[2].

---

1 (?) الدرء 6/66، 67.
2 (?) الموافقات 1/219، 220.

ولما ذكر الشـــــاطبي حكاية من أخلص أربعين يومًا قــال رحمه اللــه: وهــذا واقع كثـــيرًا من ملاحظة المســـببات [النتـــائج والعـــــواقب] في الأســـباب، وربما غطت ملاحظاتها فحــــالت بين المتســـــبب وبين مراعـــاة الأســـباب، وبـــذلك يصـــير العابد مستكثرًا لعبادته، والعالم مغترًا بعلمــه، إلى غير ذلك[1].

ومن دقائق الرياء وهو **ثالثها**.. ما أشار إليه **ابن رجب** رحمه الله بقولـــه: وها هنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين النـاس، يريد بـذلك أن يـرى النـاس أنه متواضع عند نفســه؛ فـيرتفع بـذلك عنـدهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح، قال **مطرف بن عبد الله بن الشـخير**: كفى بـالنفس إطراء أن تذمها على الملأ كأنك تريد بــذمها زينتها، وذلك عند الله سفه[2].

---

1 (?) الموافقات 1/220.

2 (?) شـرح حـديث ما ذئبـان جائعـان.. ص 46، نقلاً عن الإخلاص والشرك الأصغر.

أخي المسلم:

الإخلاص وإخفاء العمل عن الناس عزيز وصعب المنال!! فما بالك وأنت في دارك بل وفي وسط بيتك وبين أهلك؟!

قال **الخريبي**: كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم بها زوجته ولا غيرها[1].

أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!

كان **عمل الربيع بن حثيم** كله سرًا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه[2].

ولهذا قال **الزبير بن العوام** رضي الله عنه: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل[3].

وقال **سهل بن منصور**: كان بشر (ابن منصور) يصلي فيطول، ورجل وراءه ينظر، ففطن له، فلما انصرف قال: لا

---

1 (?) السير 9/349.

2 (?) حلية الأولياء 2/107.

3 (?) الزهد، لابن المبارك، ص 392.

يعجبك ما رأيت مــني، فــإن إبليس قد عبد الله دهرًا مع الملائكة[1].

وروي عن **يحيى بن كثـير** أنه شـرب الـدواء فقـالت له امرأتـه: لو تمشـيت في الدار قليلاً حـتى يعمل الـدواء، فقـال: هـذه مشــية لا أعرفهــا، وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين ســنة، فكأنه لم تحضــره في هــذه المشــية تعلق بالــدين فلم يجز الإقــدام عليها[2].

قـال **ابن المبـارك**: رب عمل صـغير تعظمه النية[3].

قــال **الفضــيل بن عيــاض**: كــانوا يراءون بما يعملـون وصـاروا اليـوم يـراءون بما لا يعملون.

وهـؤلا كـثروا في هـذا الـزمن وينطبق عليهم وعيد الله عز وجــل: ﴿**لَا تَحْسَــبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُـونَ بِمَا أَتَـوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُـوا فَلَا تَحْسَـبَنَّهُمْ**

---

1 (?) السير 8/36.

2 (?) الــورع، لعبد الله ابن حنبــل، ص 122، الإحياء 2/110.

3 (?) جامع العلوم والحكم، ص 14.

بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [1].

فما أكـثر المـدعين لأعمـال غـيرهم، خاصة إذا كـانوا في الواجهة من مـدراء أو كبراء أو غـيرهم، فـترى الواحد منهم ينسب عمل من تحت يـده إليه ويبـاهي بـذلك، ولا يستحيي من الله ولا من الخلق!!

أما استصـحاب النية في عمل فـإن الكثير مفـرط فيـه، وقليل من ينـوي تحويل العادة كالأكل والنوم إلى عبادة بنية صادقة.

وقد أوضح شـيخ الإسـلام ابن تيمية تفصـيلاً دقيقًا في هـذا الأمر فيقـول: ينبغي ألا يفعل من المباحـات إلا ما يسـتعين به على الطاعـة، ويقصد الاسـتعانة بها على الطاعة[2].

فالمسـلم إذا قصد بنومه وأكله وشـربه أن يتقـوى بها على طاعة اللـه، كي يتمكن من قيام الليل والجهاد في سبيل الله، فهذا مثـاب على هـذه الأعمـال بهـذه النيـة، وقد

---

1 (?) سورة آل عمران، الآية: 188.
2 (?) مجموع الفتاوى 10/460.

صح عن رسـول الله ﷺ أنه قـال لسـعد بن أبي وقــــاص: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجـــرت عليها حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك**»[1].

قـــال **النـــووي**: وضع اللقمة في فيّ الزوجة يقع غالبًا في حال المداعبة ولشهوة النفس في ذلك مـدخل ظـاهر، وعلى ذلك إذا وجه القصد في تلك الحالة إلى ابتغــاء الثواب حصل له بفضل الله[2].

وقد حث العلماء ورغبـوا في استحضـار النية عند المباحـات والعـادات، ليثـات عليها ثـواب العبـادات مع أنه لا مشـقة علينا في القيام بهـا، بل هي مألوفة لنفسه مسـتلذة، وهـذا من عظيم سـعة رحمة اللـه، أن أبـاح لعبـده الطيبـات الـتي يشـتهيها ثم مع ذلك يثيبه عليها بحسن نيته[3].

قـال **يحـيى بن كثـير**: تعلمـوا النيـة، فإنها أبلغ من العمل[4].

---

1 (?) وراه البخاري.
2 (?) فتح الباري 1/37.
3 (?) كتاب الإخلاص، لعمر الأشقر، ص 156.
4 (?) حلية الأولياء 3/70.

وقال **زبيد**: أحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في طعامي وشرابي[1].

وعن **سفيان الثوري** قال: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي، لأنها تتقلب عليّ[2].

قال **مطرف بن عبد الله**: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية[3].

وقال **عكرمة**: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لأن النية لا رياء فيها[4].

يقول **ابن القيم** رحمه الله: على قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في معالي الأمور يكون توفيقه سبحانه وإعانته فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم ونياتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب عكس ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم

1 (?) حلية الأولياء 5/61.
2 (?) جامع العلوم والحكم، ص 12.
3 (?) جامع العلوم والحكم، ص 12.
4 (?) الإحياء 3/314.

العـالمين يضع التوفيق في مواضـعه اللائقة به ويضع الخـذلان في مواضـعه اللائقة بـه، وهو العليم الحكيم؛وما أوتي من أوتي إلا من قبل إضـاعة الشـكر وإهمـال الافتقـار والـــدعاء،ولا ظفر من ظفر بمشـــيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشـكر وصـدق الافتقـار والدعاء.. وملاك ذلك كله الصبر.

أخي الحــــــــــبيب أين نحن من هؤلاء؟!

كـــان **عمـــرو بن قيس الملائي** إذا حضـــــرته الرقة يحـــول وجهه إلى الحائط ويقول لجلسائه: هذا الزكام[1].

وقيـــــــل: وعظ يومًا فتنفس رجل الصـــعداء فقـــال: يا ابن أخي، ما عســـاك أردت بما صـــنعت؟ إن كنت صـــادقًا فقد شهرت نفسك، وإن كنت كاذبًا فقد أهلكتها، ولقد كان النـاس يجتهـدون في الخفـاء وما يسـمع لأحـدهم صـوت، ولقد كـان الرجل ممن كان قبلكم يستكمل القرآن فلا يشـعر به جاره،ولقدكان الآخر يتفقه في الـدين ولا

1 (?) صفة الصفوة 3/124.

يطلع عليه صديقه، ولقد قيل لبعضهم: ما أقل التفاتك في الصلاة وأحسن خشوعك؟ فقال: يا ابن أخي، وما يدريك أين كان قلبي؟[1].

وكان **أيوب السختياني** يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[2].

أما **سلمة بن دينار** فإنه يحث على أمر عظيم غفل عنه كثير من الناس وذلك في نصيحة صادقة حيث قال: اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك[3].

ومن يستطيع ذلك؟! إلا من جاهد نفسه ووفقه الله جل وعلا وأعانه وسدده !!

قال **الحسن**: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام[4].

وقال **جرير بن عمرو بن ثابت**: لما مات **علي بن الحسين** فغسلوه جعلوا

---

1 (?) الزهد، للحسن البصري، ص 159.
2 (?) صفة الصفوة 3/492.
3 (?) حلية الأولياء 3/240، السير 10/6.
4 (?) الزهد، ص 373.

ينظرون إلى آثار سـواد بظهـره، فقـالوا: ما هذا؟ فقيـل: كـان يحمل جـرب الـدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة[1].

وفي صـورة من صـور حفظ العمـل.. إخفـاء الدمعة الصـغيرة حـتى لا تـرى قـال **حماد بن زيد**: كان أيوب (السختياني) في مجلس، فجاءته عـــــبرة، فجعل يتمخط ويقول: ماأشد الزكام[2].

وقـــال **محمد بن واسع**: لقد أدركت رجـالاً كـان الرجل يكـون رأسه مع رأس امرأته على وسـادة واحـدة، قد بل ما تحت خده من دموعـه، لا تشـعر به امرأتـه، ولقد أدركت رجـالاً يقـوم أحـدهم في الصـف، فتسـيل دموعه على خـده ولا يشـعر به الذي إلى جنبه[3].

وحـالهم في إخفـاء الصـيام والصـدقة عجيب، وقد جمع بين هـاتين العبـادتين **أبو الحسـين النـووي** الـذي مكث عشـرين

---

1 (?) حلية الأولياء 3/136.
2 (?) السير 8/503.
3 (?) حلية الأولياء 2/347.

سـنة يأخذ من بيته رغيفين، ويخـرج ليمضي إلى السـوق، فيتصـدق بـالرغيفين ويـدخل المسـجد، فلا يـزال يركع حـتى يجيء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السـوق، فيظن أنه تغـدى في بيتـه، ومن في بيته عنـدهم أنه قد أخذ معه غـذاءه، وهو صائم[1].

هـؤلاء قـوم صـبروا على أعظم أنـواع الصـبر وأشـقها وأعصـاها على النفس وهـو الصـبر على الطاعـة، فجاهـدوا أنفسـهم ودربوهـا فـذلت لهم وأطـاعتهم حـتى أتت صاغرة نحو الحق والجد في الطاعة!!

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمر يحاوله
فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

صـام **داود الطـائي** أربعين سـنة ما

[1] (?) صفة الصفوة 2/439.

علم به أحـــد، وكــان خـــزازًا، وكــان يحمل غذاءه معه ويتصدق به في الطريـق، ويرجع إلى أهله يفطر عشـــــاء لا يعلمـــــون أنه صائم[1].

قال رسـول الله ﷺ: «**بشر هـذه الأمة بالسنا والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للـدنيا،لم يكن له في الآخـرة من نصيب**».

التقى سفيان والفضيل فتـذاكرا، فبكيـا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكـون مجلسـنا هذا أعظم مجلس جلسـناه بركـة، فقـال له الفضــيل: لكــني أخــاف أن يكــون أعظم مجلس جلســناه شــؤمًا. أليس نظــرت إلى أحسن ما عنــدك، فــتزينت به لي، وتــزينت لك، فعبدتني وعبـدتك؟ فبكى سـفيان حـتى علا نحيبة، ثم قال: أحييتني أحياك الله.

أخي المسلم:

صــــام **منصـــور بن المعتمر** أربعين

1 (?) صفة الصفوة 3/135.

سنة، وقام ليلها، وكان يبكي الليل كله فـإذا أصبح كحل عينيه وبرق شفتيه ودهن رأسه، فتقــول له أمــه: أقتلت قــتيلاً؟ فيقــول: أنا أعلم بما صنعت نفسي[1].

وفي الإســرائيليات أن عابــدًا كــان يعبد الله دهرًا طويلاً فجاءه قوم فقالوا: إن ههنا قومًا يعبــدون شــجرة من دون الله تعــالى، فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشـــجرة ليقطعهـــا، فاســـتقبله إبليس في صــورة شــيخ فقــال: أين تريد رحمك اللــه؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة، قــال: وما أنت وذاك!! تـــــركت عبادتك واشـــــتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلــك! فقــال: إن هــذا من عبادتي، قال: فإني لا أترك أن تقطعها، فقاتله فأخــــــذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره، فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك، فقام عنه فقال إبليس: يا هذا، إن الله تعــالى قد أســـقط عنك هـــذا ولم يفرضه عليـــك! وما تعبـــدها أنت وما عليك

1 (?) تذكرة الحفاظ 1/142.

من غــرك، ولله تعــالى أنبيــاء في أقــاليم الأرض ولو شــاء لبعثهم إلى أهلها وأمــرهم بقطعها!! فقال العابد: لابد لي من قطعهــا، فنابــذه للقتــال فغلبه العابد وصــرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقـال لـه: هل لك في أمر فصل بيـــني وبينك وهو خـــير لك وأنفع؟ قال: وما هـو؟ قـال: أطلقـني حـتى أقول لـك، فأطلقه فقـال إبليس: أنت رجل فقير لا شـيء لك إنما أنت كل على النـاس يعولونـــــــك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشــبع وتســتغني عن النـاس!! قـال: نعم، قـال: فـارجع عن هـــــذا الأمر ولك علي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينــارين إذا أصــبحت أخــذتها فــأنفقت علىنفسك عيالك وتصــدقت على إخوانـك، فيكـون ذلك أنفع لك وللمســلمين من قطع الشـجرة الـتي يغـرس مكانها ولا يضـــــرهم قطعها شـــــيئًا ولا ينفع إخوانك المؤمـنين قطعك إياهـا!! فتفكر العابد فيما قــال، وقــال: صــدق الشــيخ! لست بنــبي

فيلزمـني قطع الشـجرة ولا أمـرني الله أن أقطعها فأكون عاصيًا بتركها، وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له، فرجع العابد إلى متعبده فبـات، فلما أصـبح رأى دينــارين عند رأسه فأخــذهما وكــذلك الغد، ثم أصبح اليـوم الثـالث وما بعـده فلم ير شــــيئًا، فغضب وأخذ فأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقـال لـه: إلى أين؟ قـال: أقطع تلك الشـجرة، فقـال: هيهـات، فأخــذه إبليس وصــرعه، فــإذا هو كالعصـــــــفور بين رجليه وقعد إبليس على صـــدره، وقـــال: لتنتهين عن هـــذا الأمر أو لأذبحنـك؛ فنظر العابد فـإذا لا طاقة له بـه، قـال: يا هـذا غلبتـني فخل عـني وأخـبرني كيف غلبتك أولاً وغلبتني الآن؟ فقــال: لأنك غضـبت أول مـرة لله وكـانت نيتك الآخـرة فسـخرني الله لـك، وهـذه المـرة غضـبت لنفسك وللدنيا فصرعتك[1].

قـال **بشر بن الحـارث** يوصي الكثـير

1 (?) الإحياء 4/398.

منا في نصــيحة صــادقة ومحبة ظــاهرة: لا تعمل لتـــــذكر، اكتم الحســــــنة كما تكتم السيئة[1].

ومصارعة الرياء عجيبة، ولكن من أعانه الله صرعه مـرة بعد الأخـرى، وإن عـاد فله مثل الأولى!!

قال **يوسف بن الحسين**: أعز شــيء في الدنيا: الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الريــاء عن قلــبي، فكأنه ينبت على لــون آخر[2].

وقا بعضــــــــهم: الإخلاص أن لا تطلب لعملك شاهدًا غير الله، ولا مجازيًا سواه[3].

كـــــان العــــــالم العابد **عبد الله بن المبــارك** كثــير الاختلاف إلى طرطــوس، وكـان يـنزل الرقة في خـان، فكـان شـاب يختلف إليــه، ويقــوم بحوائجه ويســمع منه الحـديث، قـال: فقـدم عبد الله الرقة مـرة فلم يرد ذلك الشاب، وكان مستعجلاً فخرج

---

1 (?) السير 10/476.
2 (?) مدارج السالكين، ص 96.
3 (?) مدارج السالكين، ص 96.

غازيًا في ســـبيل الله فلما قفل من عزوته ورجع إلى الرقة، سأل عن الشاب، فقـالوا: إنه محبـوس لـدين ركبـه، فقـال عبد اللـه: وكم مبلغ دينـه؟ قـالوا: عشـرة آلاف درهم، فلم يـزل يستقصي حـتى دل على صـاحب المـال، فـدعا به ليلاً ووزن له عشـرة آلاف درهم، وحلفه أن لا يخــبر أحــدًا ما دام عبد الله حيًّا، وقـال: إذا أصـبحت فـأخرج الرجل من الحبس[1].

أخي المسلم:

لما حـرص أولئك الأوليـاء على الإخلاص التـام وإخفـاء الطاعـات في سـبيل تحقيق كمال التجرد لله وحـده لا شـريك لـه، فـإن الله تعــالى جــازاهم في العاجلة بــالقبول والثناء الحسن، وجعل الله لهم لسان صدق لأنهم سعوا إلى تحقيق مرضـاة الله فرضي الله عنهم، وأرضى عنه الناس.

(ولقد جعلــوا الإخلاص غاية ومقصــدًا، فلم يتوســلوا به إلى تحقيق رضى النــاس عنهم، فمن أخلص الله تعــالى ليصــير له

[1] (?) صفة الصفوة 4/141.

قبـول وثنـاء حسن فهو لم يـرد الله تعـالى، بل جعل الله وسيلة له) أما غير المخلصـين من المرائين وأهل العجب وأصحاب (العقل المعيشـــــي) فما نـــالوا إلا ذم النـــاس وسخطهم، عقوبة لهم على نقيض قصـدهم والوعيد الشديد لهم في الآخرة[1].

خـرج داود الطـائي إلى السـوق فـرأى الـرطب، فاشـتهته نفسه فجـاء إلى البـائع فقال له: أطعني بدرهم إلى الغد، فقال له: اذهب إلى عملـــك، فـــرآه بعض من يعرفه فــأخرج له صـــرة فيها مائة درهم، وقـــال: اذهب فإنه آخذ منك بـــدرهم فالمائة لـــك، فلحقه البـائع وقـال لـه: ارجع خذ حاجتـك، فقـــال: لا حاجة لي منه إنما جـــربت هـــذه النفس فلم أرها تســاوي في هــذه الــدنيا درهًا وهي تريد الجنة[2].

قالت امرأة هشام بن حسان: كنا نزولاً مع محمد بن سـيرين في داره، وكنا نسـمع

---

1 (?) معالم في السلوك، ص 92.

2 (?) صفة الصفوة 3/139.

بكاءه في الليل وضحكه بالنهار[1].

بكـاؤهم في الليل خوفًا وطمعًا يرجـون رحمة ربهم، وضحكهم بالنهار إخفاء لحـالهم وإظهـــارًا للإخلاص وعـــدم إبـــداء التعب والحزن وآثار الجهد من قيام الليل.

روي عن بعض الحكمــاء أنه قــال: مثل من يعمل الطاعـات للريـاء والسـمعة كمثل رجل خـرج إلى السـوق وملأ كيسه حصـاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل، فلا منفعة له سـوى مقالة النـاس، ولو أراد أن يشـتري له شـيئًا لا يعطى به شـيئًا، كـذلك الــذي عمل للريــاء والســمعة لا منفعة له ســوى مقالة النــاس، ولا ثــواب له في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُـوا مِنْ عَمَـلٍ فَجَعَلْنَـاهُ هَبَـاءً مَنْثُـورًا**﴾[2]، يعـني الأعمـال الـتي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابهـا، وجعلناها كالهباء المنثـور، وهو الغبـار الـذي يـرى في شعاع الشمس[3].

---

1 (?) الزهد، ص 422.
2 (?) سورة الفرقان، الآية: 23.
3 (?) تنبيه الغافلين 1/16.

ذكر الإمــام **أحمد** عن أبي الــدرداء أنه لما احتضر جعل يغمى عليه ثم يفيق ويقرأ: **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَــارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُــوا بِــهِ أَوَّلَ مَــرَّةٍ وَنَــذَرُهُمْ فِي طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُـونَ﴾**[1]. فمن هـذا خـاف السـلف من الـذنوب أن تكـون حجابًا بينهم وبين الخاتمة الحسنى.

قــال: واعلم أن ســوء الخاتمة – أعاذنا الله تعالى منها- لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه. ما سـمع بهـذا ولا علم به ولله الحمد، إنما تكون لمن له فساد في العقيـدة أو إصـــرار على الكبـــيرة، وإقـــدام على العظائم، فربما غلب ذلك عليه حتى نــزل به الإنابـــــة، فيظفر به الشــــيطان عند تلك الصـدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة والعيـاذ بالله[2].

1 (?) سورة الأنعام، الآية: 110.
2 (?) الجواب الكافي، ص 245.

علاج الرياء

حيث إن لكل داء دواء علمه من علمـه، وجهله من جهلـــــه، ولعظم أمر الريـــــاء وخطورته على عمل المســلم، فــإن لــداء الرياء وكذا غـيره مما يضـاد الإخلاص أنواعًا من العلاج والدواء فمنها:

1- أن يعلم المكلف علمًا يقينًا بأنه عبد محض، والعبد لا يســــــــتحق على خدمته لســـيده عوضًـــا ولا أجـــرة، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده الأجر والثـــــواب تفضل منه وإحســــان إليه لا معاوضة.

2- مشـــاهدته لمنة الله عليه وفضـــله وتوفيقـــــــه، وأنه بالله لا بنفسه وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو. فكل خير فهو مجرد فضل الله ومنته.

3- مطالعة عيوبه وآفاته وتقصـيره، وما فيه من حظ النفس ونصـــيب الشـــيطان، فكل عمل من الأعمـال إلا وللشـيطان فيه نصـيب وإن قـل، وللنفس فيه حـظ، سـئل

النـــبي ﷺ عن التفـــات الرجل في صـــلاته، فقال: «**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» فإذا كـان هـذا الالتفـات طرفة فكيف التفـــات قلبه إلى ما ســـوى الله؟!

4- تـذكير النفس بما أمر الله تعـالى به من إصـــــلاح القلب وإخلاصه وحرمـــــان المرائي من التوفيق.

5- خـــوف مقت الله تعـــالى إذا اطلع على قلبه وهو منطو على الرياء.

6- الإكثار من العبادات غـير المشـاهدة وإخفاءها؛ كقيام الليل وصدقة السر والبكاء خاليًا من خشية الله.

7- تحقيق تعظيم الله تعــــــالى، وذلك بتحقيق التوحيد والتعبد لله بأسمائه وصفاته العلا.

8- تـــذكر المـــوت وســـكراته والقـــبر وأهواله واليـوم الآخر بأحواله الـتي تشـيب لها الولدان.

9- معرفة الريـــاء ومداخله وخفايـــاه

حتى يتم الاحتراز منه.

10- النظر في عاقبة الريـاء في الـدنيا والآخرة.

فيعلم العبد أن النـاس لو اجتمعـوا على أن ينفعوه بشـيء لم ينفعـوه إلا بشـيء قد كتبه الله له، كما جاء في وصية رسـول الله لابن عباس، ولذا قـال بعض السـلف: من عرف أسباب الرياء واستراح، واحرص على أن يكون الناس عنـدك كالبهـائم والصـبيان، ولا نفرق في عبادتك بين وجودهم وعـدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها واقنع بعلم الله وحده.

ورضي الله عن الفـاروق عمر القائـل: فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفـاه الله ما بينه وبين النـاس، ومن تـزين بما ليس فيه شانه الله.

يقول ابن القيم معلقًا على عبـارة أمـير المؤمـنين: «ومن تـزين بما ليس فيه شـانه الله قـال: لما كـان المـتزين بما ليس فيه ضد المخلص فإنه يظهر للنـاس أمـرًا وهو مبطن بخلافه -عامله الله بنقيض قصـده،

فـــإن المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شـــرعًا وقـــدرًا، ولما كـــان المخلص يعجل له من ثـواب إخلاصه الحلاوة والمحبة والمهابة في قلـوب النـاس، عجل للمـتزين بما ليس فيه عقوبته أن شانه الله بين النـاس، لأنه شـان باطنه عند الله، وهذا مـوجب أسـماء الـرب الحسنى وصفاته العليا.

وأما عاقبة الرياء في الآخرة فكما قــال ﷺ: «**من ســمع ســمع الله بـــه، ومن يرائي يرائي الله به**»[1] .

كما أن المرائي من أوائل الـذين تسـعر بهم نار جهنم.

11- الاســـــــتعانة بالله على الإخلاص والتعــوذ به من الريــاء؛ فعلى المســلم أن يكثر من الدعاء والتضرع إلى الله بـأن يقيه الريـاء ودواعيـه، كما جـاء في الحـديث عن رســـول الله ﷺ: «**الشـــرك فيكم أخفى من دبيب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صـغار الشـرك وكبـاره، تقـول: اللهم إني أعـوذ بك**

[1] (?) رواه البخاري ومسلم.

أن أشـرك بك وأنا أعلم، وأسـتغفرك لما لا أعلم»[1].

وأنـواع الريـاء كثـيرة نسـأل الله الإعانة في تحقيقها والتداوي بها[2].

أخي المسلم:

هنـــاك أمـــور قد تخطر في ذهنك وهي أمور لا تعد من الرياء ومنها:

1- حمد النــاس للعبد على عمل الخــير دون قصد منــه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قــال: يا رســول اللــه! أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير يحمد الناس عليه؟ قـال ﷺ: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[3]. وهكـذا يفر المخلص من الشــــهرة ويكرهها ولكن الله يضع له القبول في الأرض، فيسر العبد بفضل اللـــه، وأما المـــرائي فإنه يـــركب الصعب والذلول ليحظى بالقبول.

2- نشـــاط العبد في عمل الخـــير عند رؤية العابــــــدين، ومجالسة أهل الإخلاص

---

1 (?) صحيح الجامع الصغير 3/233.

2 (?) نقلاً عن كتــاب الإخلاص، د. عبد العزيز العبد اللطيف.

3 (?) رواه مسلم.

والصـــــــالحين فإنها تبعث في نفسه الهمة والنشاط وتقوي عزمه.

3- كتمان الـذنوب: يجب على المسـلم أن يستتر ولا يجاهر بذنوبه، فمن تـاب تـاب الله عليـه. ونشر الـذنوب والتحـدث بها من إشــاعة الفاحشة ويــؤدي إلى الاســتخاف بحدود الله تعالى.

قال رسول الله : «كل أمتي معافى إلا المجــاهرون، وإن من المجــاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصـــبح وقد ســتره اللــه، فيقــول: يا فلان! عملت البارحة كـذا وكذا، وقد بـات يسـتره ربه ويصـبح يكشف ستر الله عنه»[1].

4- تجميل الثيــاب والنعل ونحــوه: فعن عبد الله بن مســــــعود رضي الله عنه عن النبي قـال: «لا يـدخل الجنة من كـان في قلبه مثقـال ذرة من كـبر» قـال رجـل: إن الرجل يحب أن يكـــون ثوبه حســـنًا، ونعله

1 (?) رواه مسلم.

حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمـال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس»[1].

5- إظهــار شــعائر الإســلام: يتضــمن الإسـلام عبـادات لا يمكن إخفاؤهـا، كـالحج والعمرة والجمعة والجماعة، والعبد لا يكون مرائيًا بإظهارهـــا، لأن من حق الفــــرائض الإعلان عنها، وتشهيرها؛ لأنها أعلام الإسلام وشـعائر الـدين، ولأن تاركها يسـتحق الـذم والمقت، فوجب إماطة التهمة بالإظهار[2].

واحذر أخي المسلم أن يأتيك الشـيطان بعد إخلاصك وحــذرك من الريــاء بمــدخل عجيب، وهو زهـــــــوك بنفسك وعجبك بها وعجبك بإخفاء العمل والمن بهــذا على الله عز وجــل، بل احمد الله واشــكره أن يسر لك هذا الإخلاص وتذلل له واخضع لطاعته.

جعل الله أعمالنا صوابًا ورزقنا الإخلاص في القول والعمل، وبارك في أعمالنا وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) الرياء، ذمه وأثـره في الأمـة، ص 53 وما بعدها باختصار.

كما أدعـــوه عز وجل أن نعيش ســـعداء وأن نموت على التوحيد شهداء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس